جغرافية الفقر والحرمان

مايكل باسيوني

الفصل 29 من كتاب
الجغرافيا التطبيقية : المبادئ والممارسة
أ. م. مانيون

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

على الرغم من التقدم الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته حقبة ما بعد الحرب ، والذي تجلّى في ارتفاع متوسط العمر المتوقع ، وانخفاض نسبة سكان العالم الذين يعانون من الجوع والحرمان المهدد للحياة ، وزيادة فرص الحصول على الرعاية الصحية والتعليم ، ما يزال الفقر يُمثل مشكلة رئيسية لنسبة كبيرة من السكان في معظم دول العالم المعاصر . **ويكمن جوهر هذه المعضلة في التوزيع غير المتكافئ لموارد العالم** . فالتنمية غير المتكافئة سمة متأصلة في الرأسمالية ، **تنبع من ميل رأس المال إلى التدفق إلى المواقع التي تُوفر أكبر عائد مُحتمل** . ويُؤدي الاستخدام المُتفاوت للمساحة من قِبَل رأس المال سعياً وراء الربح إلى خلق فسيفساء من عدم المساواة على جميع المستويات الجغرافية ، من العالمية إلى المحلية . ونتيجةً لذلك ، ستشهد بعض البلدان والمناطق والمدن والمناطق في أي وقت من الأوقات تراجعاً نتيجةً لتراجع الاستثمار الرأسمالي ، بينما ستعاني بلدان أخرى من تأثير تدفقات رأس المال .

ركّز الجغرافيون البشريون التطبيقيون اهتمامًا خاصًا على ظروف الفقر والحرمان التي يعاني منها الأشخاص والأماكن التي تقع في الطرف الأقل حظًا من طيف جودة الحياة . يستعرض هذا الفصل الأبعاد الرئيسية للبحوث التطبيقية في جغرافية الفقر والحرمان . يُحدد النقاش أولًا طبيعة الفقر والحرمان قبل التطرق إلى مسألة قياسهما . ثم يُفحص مدى انتشار الفقر بالرجوع إلى البحوث التي أُجريت على نطاقات متنوعة ، من المستوى العالمي إلى المستوى المحلي في بيئات متنوعة حول العالم . في القسم الأخير ، ندرس **أهمية المنظور الجغرافي التطبيقي في تحديد ومعالجة مشاكل الفقر والحرمان المتعددة**.

تشريح الفقر

يُشير الفقر إلى الحرمان أو الاحتياجات الإنسانية التي لا تُلبّى . ومن المفهوم عمومًا أنه ينشأ عن نقص الدخل أو الأصول ، مما يعني أن الناس غير قادرين على تلبية الاحتياجات المادية الأساسية ، مثل نظام غذائي كافٍ وسكن لائق . الفقراء ، في كثير من الحالات ، غير قادرين على الحصول على الرعاية الصحية عند المرض أو الإصابة ، وخارج دول الرفاهية في الشمال ، لا يملكون وسائل العيش عندما يكونون عاطلين عن العمل أو مرضى أو معاقين أو متقدمين في السن على العمل . تشمل الاحتياجات "الأعلى مرتبة" الأخرى التي يُدرجها الكثيرون في أي تعريف للفقر احترام الذات والحصول على الحقوق المدنية والسياسية (تاونسند 1993).

أسباب الفقر معقدة . ففي بلدان العالم النامي ، ترتبط العديد من المشاكل بالركود الاقتصادي و/أو أزمة الديون ، وبصعوبات التكيف الهيكلي . وفي معظم "البلدان التي تمر بمرحلة انتقالية" في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي السابق ، ترتبط مشاكل الفقر بانهيار الشيوعية ، على الرغم من أن التقدم الاجتماعي في العديد من البلدان قد تباطأ بالفعل في السنوات التي سبقت هذه التغييرات . وفي العديد من أغنى البلدان ،

ارتبطت زيادة الفقر خلال ثمانينيات القرن الماضي بدرجة أقل بالركود الاقتصادي وبدرجة أكبر بالتغيرات في سوق العمل ، بما في ذلك نمو في البطالة طويلة الأمد . وارتبطت عوامل أخرى مساهمة بالاستراتيجيات السياسية التي قللت من الإنفاق على الرعاية الاجتماعية .

وفي العديد من الدول الغربية ، تنعكس هذه الاتجاهات في تزايد عدم المساواة في توزيع الدخل . (غودمان وآخرون، 1997). ومن العوامل الرئيسية في النقاش حول طبيعة ومدى الفقر والحرمان التمييز بين الفقر المطلق والفقر النسبي . ويؤكد التعريف المطلق أو تعريف الكفاف للفقر أن الأسرة تُعد فقيرة إذا كان "إجمالي دخلها غير كافٍ للحصول على الحد الأدنى من الضروريات للحفاظ على الكفاءة البدنية فقط" (رونتري، 1901: ص 186) . وقد كان لمفهوم الحد الأدنى من الكفاف ، وما يرتبط به من خط الفقر، تأثير قوي على تطوير تشريعات الرعاية الاجتماعية في بريطانيا ما بعد الحرب . استند نظام إعانات المساعدة الوطنية ، الذي طُرح عقب تقرير بيفريدج لعام ١٩٤٢، إلى حسابات المبلغ المطلوب لتلبية الاحتياجات الأساسية من مأكل وملبس ومسكن ، بالإضافة إلى مبلغ صغير لتغطية نفقات أخرى .

ويستند برنامجا الرعاية الطبية (ميديكير) والرعاية الصحية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى مفهوم مماثل لشبكة أمان للفئات الاجتماعية الأكثر ضعفًا . وبشكل عام ، تعتمد معظم تقديرات حجم الفقر داخل الدول وفيما بينها على مستوى دخل الفرد كخط فقر محدد . ومع ذلك ، إذا سلمنا **بأن الاحتياجات تُحدد ثقافيًا وليست بيولوجية ، فسيكون من الأدق عد الفقر ظاهرة نسبية** . ويشمل التعريف الأوسع المتأصل في مفهوم الفقر النسبي الأمن الوظيفي ، والرضا الوظيفي ، والمزايا الإضافية (مثل حقوق التقاعد)، بالإضافة إلى مكونات مختلفة من "الأجر الاجتماعي" ، بما في ذلك استخدام الممتلكات والخدمات العامة ، بالإضافة إلى تلبية احتياجات أعلى مستوى مثل المكانة الاجتماعية ، والسلطة ، وتقدير الذات .

في جوهره ، ينطوي المنظور المطلق على إمكانية القضاء على الفقر في مجتمع متقدم اقتصاديًا ، بينما يُقر المنظور النسبي بأن الفقراء موجودون دائمًا . وكما يُشير الشكل 29.1 ، فإن الفقر والحرمان مفهومان مترابطان . يُعد الفقر عنصرًا محوريًا في مشكلة الحرمان متعددة الأبعاد، حيث تُعزز الصعوبات الفردية بعضها البعض لتؤدي إلى حالة من الحرمان المطلق للمتضررين . السبب الجذري للحرمان اقتصادي ، وينبع من مصدرين . ينشأ الأول بسبب انخفاض الأجور التي يحصل عليها العاملون في الصناعات التقليدية المتدهورة ، أو الذين يعملون ، غالبًا بدوام جزئي ، في صناعات الخدمات الحديثة في مجتمعات ما بعد الصناعة ، أو غالبية العاملين لحسابهم الخاص في القطاع غير الرسمي في اقتصادات العالم الثالث . أما السبب الثاني فهو البطالة التي يعاني منها المهمشون في سوق العمل ، مثل الآباء والأمهات العازبين ، وكبار السن ، وذوي الإعاقة ، وبشكل متزايد، خريجي المدارس الذين لم يعملوا قط . من الجدير بالذكر أن البحوث الجغرافية التطبيقية أظهرت أن مجموعة المشاكل المتعلقة بالفقر الموضحة في الشكل 29.1 تُظهر تركيزًا مكانيًا ملحوظًا . يُسهم هذا التنميط في إبراز آثار الفقر والحرمان على سكان مناطق معينة .

تتجلى ظاهرة الفصل الاجتماعي والمكاني في أوضح صورها في المستوطنات العشوائية في دول العالم الثالث ، ولكنها موجودة بدرجات متفاوتة في معظم مدن العالم الحديث (الملحق 29.1) . في المناطق الصناعية القديمة المتراجعة في الشمال ، تشيع معدلات بطالة بين الأحياء السكنية ، تبلغ ثلاثة أضعاف المتوسط الوطني ، حيث تتجاوز نسبة بطالة الذكور 40% في كثير من الأحيان. (دونيسون وميدلتون 1987؛ كونفيري 1997) . في هذه المناطق ، أدى التحول من العمالة الصناعية الثقيلة إلى الأنشطة الموجهة نحو الخدمات ، وما نتج عنه من طلب على نوع مختلف من القوى العاملة ، إلى تقويض الهياكل الاجتماعية الراسخة القائمة على توظيف الذكور بدوام كامل ، وساهم في تفاقم الضغوط الاجتماعية داخل الأسر.

Figure 29.1 The anatomy of multiple deprivation.

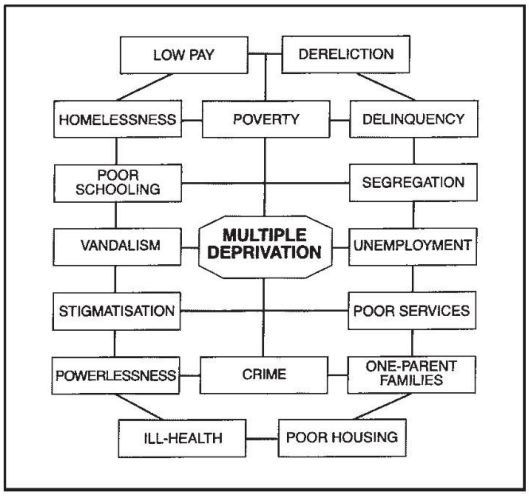

يؤدي الاعتماد على الرعاية الاجتماعية ، عند توفرها ، ونقص الدخل المتاح إلى انخفاض احترام الذات ، ويمكن أن يؤدي إلى الاكتئاب السريري . كما يُقيد الفقر النظام الغذائي ويُفاقم سوء الصحة . ويُعد سوء التغذية عاملاً رئيسياً وراء ارتفاع معدلات وفيات الرضع في البيئات المحرومة التي يقطنها غالبية السكان في الجنوب . ومع ذلك ، حتى في العالم المتقدم ، غالبًا ما تكون معدلات وفيات الرضع أعلى بكثير في المناطق الفقيرة (بينزيفال وآخرون 1995) . والأطفال الذين ينشؤون في مثل هذه البيئات أكثر عرضة للتعرض للثقافات الفرعية الإجرامية ، وللمعاناة من الحرمان التعليمي (باسيوني 1997أ) . عادةً ما تكون البيئة المادية في المناطق المحرومة قاتمة . وتُظهر الأحياء الفقيرة في المدن الأمريكية وأجزاء من المناطق التابعة للسلطات المحلية المحرومة في المملكة المتحدة مساحات شاسعة من الإهمال ، وقلة المساحات الخضراء ، ومرافق التسوق والترفيه التي تعكس فقر المنطقة.

يُشكل التدهور الشديد الذي يُميز المناطق الفقيرة في مدن العالم الثالث تهديدًا متكررًا لبقاء السكان (ماين وويليامز، 1994) . كما يقع سكان المناطق الفقيرة غالبًا ضحايا للوصم ، الذي يُمثل عقبة إضافية أمام الحصول على عمل أو تسهيلات ائتمانية . العديد من المناطق المحرومة معزولة اجتماعيًا وجسديًا عن التيار الرئيسي ، ومن يتمكن من الرحيل يفعل ذلك ، تاركًا وراءه سكانًا متبقين ذوي سيطرة محدودة على جودة حياتهم.

قياس مدى الفقر

يُعد قياس الفقر والحرمان من أكثر الوسائل مباشرة لرصد التباينات الاجتماعية والمكانية في جودة الحياة ، وتقييم أداء الهيئات العامة المسؤولة عن تحسين رفاهية الفقراء . مع ذلك ، يجب على الباحثين التطبيقيين أن يدركوا أنه في الممارسة العملية ، غالبًا ما تُعيق هذه الأهداف الرئيسية عدم توفر إحصاءات دقيقة وقابلة للمقارنة . وبناءً على ذلك ، يجب على الباحثين توضيح افتراضات البيانات المستخدمة وقيودها ، ويجب أن يدركوا أنه في بعض الحالات ، يصبح ما يمكن قياسه واقعيًا ، مما يُوحد التنوع ويستبعد المتباين والمختلف (تشامبرز، 1994) . كما هو موضح ، تستخدم معظم تقديرات مقياس الفقر مستوى الدخل كعتبة

للفقر . ومع ذلك ، وكما ذكرت منظمة الصحة العالمية (1992) ، فإن الفقر المُعرّف فقط بمستوى الدخل الشخصي لا يمكن أن يشمل الصحة أو معرفة القراءة والكتابة أو الوصول إلى المنافع العامة أو موارد الملكية المشتركة .

للتغلب على عيوب مقياس بسيط للفقر قائم على الدخل ، قد يختار الباحثون مؤشرًا واحدًا ذا صلة مباشرة بالمشكلة ، أو يستخدمون مجموعة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية لإنتاج مقياس متعدد المتغيرات للحالة . يُعد متوسط العمر المتوقع عند الولادة أحد أهم المؤشرات الفردية للظروف الاجتماعية في بلد ما (الشكل 29.2) . يقيس هذا المؤشر مدى تُمكّن العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة المواطنين من تجنب الوفاة المبكرة . وقد وُجد أن هذا المؤشر يُظهر ارتباطًا وثيقًا بمقاييس متعددة المتغيرات لمستويات المعيشة أو الرفاه العام (بارثا وويل، ١٩٩٢) ، وبالتالي يُمكن عده مؤشرًا دقيقًا لمدى الفقر والحرمان .

Figure 29.2 Life expectancy at birth, 1990.

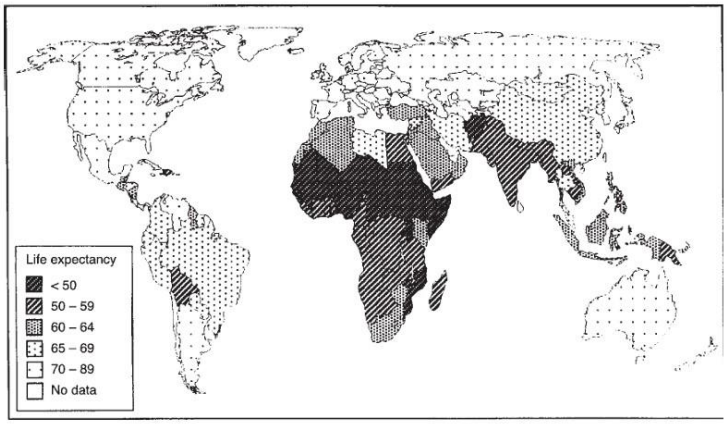

Source: Findlay 1994.

من الواضح أنه من غير الممكن لبلد ما أن يُظهر متوسط عمر متوقع مرتفعًا إذا لم يتمتع معظم السكان بإمكانية الحصول على مساكن جيدة النوعية ، وإمدادات مياه آمنة ، وخدمات صرف صحي ورعاية صحية كافية . حتى البلدان المزدهرة لا يُمكنها أن تُصنف ضمن البلدان ذات متوسط العمر المتوقع الأعلى إذا كانت نسبة كبيرة من سكانها تفتقر إلى الدخل ، وظروف المعيشة ، والوصول إلى الخدمات التي تحمي من الوفاة المبكرة . في حين أن متوسط العمر المتوقع يُوفر دليلًا مفيدًا على مستويات الفقر الوطنية ، فإن استخدام مؤشر متوسط العمر المتوقع لبلد ما يُمكن أن يُخفي اختلافات اجتماعية ومكانية كبيرة في الرفاه داخل البلدان . يشير عاملان من أهم العوامل التي وُجدت لتفسير التباينات داخل الدول في معدلات الفقر إلى مدى عدم المساواة ، ومستوى توفير الخدمات الأساسية .

وهكذا، في دراسة استقصائية شملت اثنين وعشرين دولة منخفضة الدخل ، وجد أناند ورافاليون (1998) أن ثلث الزيادة في متوسط العمر المتوقع خلال فترة الدراسة كان بسبب انخفاض معدلات الفقر، بينما كان الثلثان الآخران بسبب زيادة الإنفاق على الخدمات الاجتماعية . وتشير هذه النتائج إلى أن أهمية النمو الاقتصادي في زيادة متوسط العمر المتوقع ترتبط بكيفية توزيع المنافع بين السكان . كما تم إثبات العلاقة بين متوسط العمر المتوقع ومستويات عدم المساواة في الدخل في اثني عشر دولة من دول الاتحاد الأوروبي (ويلكينسون 1992). ومما له أهمية خاصة بالنسبة للبحوث الجغرافية التطبيقية في مجال الفقر والحرمان أن

هذه البيانات تُركز بشدة على ضرورة إجراء التحليل على المستوى داخل الدول . وبناءً على ذلك ، سنتناول في الأقسام التالية إجراء هذا البحث وقيمته على ثلاثة مستويات مختلفة.

الفقر الحضري والريفي

على الرغم من وجود تباينات اجتماعية ومكانية في معدلات الفقر والحرمان في جميع بلدان العالم النامي ، فقد تم التركيز بشكل خاص على تفاوت مستويات المعيشة بين المناطق الحضرية والريفية ، حيث تشير معظم الدراسات إلى ارتفاع معدل الفقر في المناطق الريفية . ويدعم هذا الاستنتاج البيانات الواردة في الجدول 29.1 ، والتي تستند إلى خط فقر مُحدد وطنيًا يتعلق بالدخل اللازم لتلبية الحد الأدنى من الاحتياجات الأساسية في كل بلد . ومع ذلك ، يجب توخي الحذر ، لا سيما وأن استخدام خط فقر واحد قائم على الدخل في كل من المناطق الحضرية والريفية قد يقلل من تقدير مدى الفقر الحضري لعدم مراعاة ارتفاع تكاليف المعيشة في المناطق الحضرية . وعندما تُؤخذ في الحسبان الاختلافات في تكاليف المعيشة بين المناطق الحضرية والريفية ، فإن نطاق الفقر الحضري يزداد عمومًا (فيرس وليون، 1990).

Table 29.1 The extent of absolute poverty in selected countries.

Country or region	*Proportion of the population below the poverty line*			
	In urban areas	*In rural areas*	*In whole nation*	*Date*
Africa	29.0	58.0	49.0	1985
Botswana	30.0	64.0	55.0	1985/86
Côte d'Ivoire	30.0	26.0	28.0	1980/86
Egypt	34.0	33.7	33.8	1984
Gambia	63.8	57.7		1989
Ghana			59.5	1985
Morocco	28.0	32.0		1985
Mozambique	40.0	70.0	55.0	1980/89
Swaziland	45.0	50.0	49.0	1980
Tunisia	7.3	5.7	6.7	1990
Uganda	25.0	33.0	32.0	1989/90
Zambia	40.0		80.0	1993
Asia (excluding China)	34.0	47.0	43.0	1985
Bangladesh	58.2	72.3		1985/86
China	0.4	11.5	8.6	1990
India	37.1	38.7		1988
Indonesia	20.1	16.4	17.4	1987
Korea, Republic of	4.6	4.4	4.5	1984
Malaysia	8.3	22.4	17.3	1987
Nepal	19.2	43.1	42.6	1984/85
Pakistan	25.0	31.0		1984/85
Philippines	40.0	54.1	49.5	1988
Sri Lanka	27.6	45.7	39.4	1985/86
Europe				
France			16.0	*c.*1990
Germany			10.0	*c.*1990
Hungary			15.4	1991
Ireland			19.0	*c.*1990
Italy			15.0	*c.*1990
Poland			22.7	1987
Spain			19.0	*c.*1990
United Kingdom			18.0	*c.*1990
Latin America	32.0	45.0		1985
Argentina	14.6	19.7	15.5	1986
Brazil	37.7	65.9	45.3	1987
Colombia	40.2	44.5	41.6	1986
Costa Rica	11.6	32.7	23.4	1990
El Salvador	61.4			1990
Guatemala	61.4	85.4	76.3	1989
Haiti	65.0	80.0	76.0	1986
Honduras	73.9	80.2	77.5	1990
Mexico	30.2	50.5	29.9	1984
Panama	29.7	51.9	41.0	1986
Peru	44.5	63.8	51.8	1986
Uruguay	19.3	28.7	20.4	1986
Venezuela	24.8	42.2	26.6	1986
North America				
Canada			15.0	*c.*1990
United States of America			13.0	*c.*1990

Source: United Nations Centre for Human Settlements 1996.
Notes: These are all estimates based on data from a household budget, income or expenditure survey and are based on the concept of an 'absolute poverty line' expressed in monetary terms. The figures for different countries are not necessarily comparable, since different assumptions will have been made for setting the poverty line. (NB comparisons between these countries should be avoided, as different criteria were used to set poverty lines).

وعلى الرغم من صعوبات التحليل المقارن ، تشير الأدلة الواردة في الجدول 29.1 إلى فقر مدقع في المناطق الريفية . وجدت دراسةٌ حول الفقر الريفي في 114 دولةً في الجنوب أن 940 مليون نسمة ، أو

36% من السكان ، يعيشون على دخلٍ أقل من خط الفقر (الجزائري وآخرون، 1992) ، بينما في الولايات المتحدة ، وجد ليسون (1989) أن المناطق الريفية ومناطق سوق العمل في الجنوب الأمريكي ظلت أكثر فقرًا وتخلفًا من نظيراتها الحضرية . ومع ذلك ، لا جدوى من السعي إلى توضيح الشدة النسبية للفقر في المناطق الحضرية والريفية . وكما يشير الجدول 29.1، فإن حجم المشكلة في كلا السياقين بالغ الأهمية ويتطلب اتخاذ إجراءات علاجية عاجلة.

التباينات الإقليمية في الفقر والحرمان

حفز التداخل الجغرافي والإحصائي بين المؤشرات الفردية للفقر والحرمان تطوير مؤشرات اجتماعية إقليمية مركبة متعددة المتغيرات كوسيلة للكشف عن الأنماط المتباينة لجودة الحياة بين المناطق . تشمل الدراسات المبكرة في هذا المجال تحليل ويلسون (1969) للعلاقات بين الولايات التباينات في جودة الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية ، ودراسة جوردون وويتاكر (1972) حول الرخاء في المناطق المحلية بجنوب غرب إنجلترا . استخدم سميث (1973) مجموعة من سبعة وأربعين متغيرًا اجتماعيًا تتعلق بالدخل والصحة والإسكان والتعليم والنظام الاجتماعي والانتماء الاجتماعي لإنشاء خريطة للرفاهية الاجتماعية للولايات المتحدة الأمريكية المتجاورة ، والتي سلطت الضوء على الفقر النسبي في الولايات الجنوبية (الشكل 29.3).

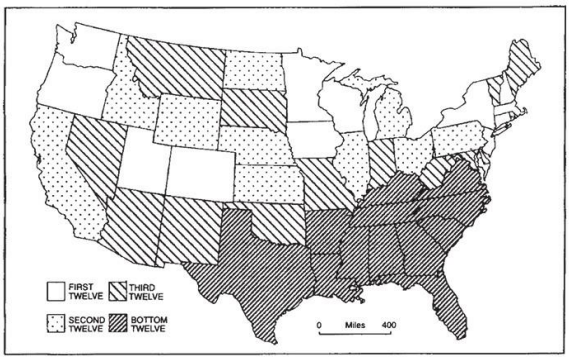

Figure 29.3 Social well-being in the USA.

Source: Smith 1973.

وفي الآونة الأخيرة ، سلّط تحليل عدد من المؤشرات المتعلقة بالحرمان من تعداد عام 1991 الضوء على التباين الجغرافي للفقر والثراء بين مناطق السلطة المحلية في بريطانيا . قارن ، على سبيل المثال ، موقع مقاطعة غلاسكو ومنطقة بيرسدن وميلنجافي الضاحيتين المتجاورتين مكانيًا في الجدولين 29.2 و 29.3. أظهر غرين (1994) أيضًا أنه من حيث معدلات البطالة والخمول ، اتسعت الفجوة بين أفضل الأحياء وأسوأها في المملكة المتحدة بين عامي 1981 و 1991، مما أدى إلى إبراز درجة كبيرة من الاستقطاب . ومن الجدير بالذكر أن معدل انتشار الفقر الاجتماعي والمكاني أظهر مستوى عالٍ من الاتساق على مدار العقد . وقد ثبت استنتاج مماثل على مستوى التجمعات الحضرية من خلال تحليل باسيوني (1995أ؛ ب) للحرمان المتعدد في ستراثكلايد ، والذي كشف عن الاتساق المكاني والزماني للحرمان في مناطق محددة . وإلى جانب تسليط الضوء على الاختلافات الإقليمية في مستوى الرفاه ، قدمت هذه الدراسات أيضًا دعمًا إضافيًا لدراسة الاختلافات الاجتماعية والمكانية في الفقر والحرمان على المستوى داخل المناطق الحضرية.

Table 29.2 Most deprived local authority districts in Britain, 1991.

Unemployment (%)			*Inactivity rate (20–59)(%)*			*Households owning no car (%)*		
1	Hackney	22.5	1	Rhondda	32.3	1	Glasgow City	65.6
2	Knowsley	22.1	2	Easington	31.2	2	Hackney	61.7
3	Tower Hamlets	21.8	3	Merthyr Tydfil	30.4	3	Tower Hamlets	61.6
4	Liverpool	21.1	4	Afan	30.2	4	Islington	59.9
5	Newham	19.3	5	Rhymney Valley	29.3	5	Clydebank	58.7
6	Glasgow City	19.1	6	Blaenau Gwent	29.3	6	Southwark	58.0
7	Manchester	18.7	7	Cynon Valley	29.2	7	Westminster	57.7
8	Southwark	18.2	8	Knowsley	28.2	8	Liverpool	57.0
9	Haringey	17.7	9	Cumnock and Doon Valley	28.0	9	Manchester	56.6
10	Lambeth	17.1	10	Glasgow City	27.8	10	Camden	55.8

Source: Hills 1995.

Table 29.3 Most affluent local authority districts in Britain, 1991.

Households from social classes 1 and 2 (%)			*Adults with high-level qualifications (%)*			*Households with two or more cars (%)*		
1	City of London	71.4	1	City of London	35.7	1	Surrey Heath	51.0
2	Richmond upon Thames	63.3	2	Bearsden and Milngavie	31.4	2	Hart	50.5
3	Bearsden and Milngavie	63.0	3	Richmond upon Thames	29.2	3	Wokingham	48.5
4	Eastwood	62.3	4	Cambridge	27.9	4	Chiltern	47.7
5	Elmbridge	60.5	5	Kensington and Chelsea	27.6	5	South Buckinghamshire	47.3
6	Kensington and Chelsea	60.3	6	Eastwood	26.5	6	Uttlesford	44.4
7	Wokingham	59.8	7	Oxford	26.2	7	Tandridge	43.1
8	Chiltern	59.7	8	Camden	25.8	8	Wycombe	42.8
9	St Albans	59.5	9	St Albans	25.7	9	Mole Valley	42.7
10	Mole Valley	57.3	10	Chiltern	24.0	10	East Hampshire	42.3

Source: Hills 1995.

الفقر والحرمان داخل المدينة

تفاقمت مشاكل الفقر والحرمان التي يعاني منها الأشخاص والأماكن الهامشية في عملية التنمية الرأسمالية خلال العقود الأخيرة . تعيش نسبة كبيرة من المحرومين في البلدات والمدن . في دول الشمال ، تعرضت مناطق واسعة من العديد من المدن الصناعية القديمة للدمار الاقتصادي والاجتماعي نتيجةً لآثار إعادة الهيكلة الاقتصادية العالمية ، وتراجع التصنيع ، وعدم فعالية السياسات الاقتصادية الحضرية (باسيوني 1990أ) . بالنسبة للعديد من سكان المدن في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ، تُمثل طبيعة ومدى الحرمان المتعدد أزمةً حضريةً معاصرةً (الملحق 29.2) (باسيوني 1997ب). لفهم مدى انتشار الفقر والحرمان وتأثيرهما على المجتمعات المحرومة ، من الضروري استكمال التحليلات على المستويين الوطني والإقليمي من خلال العمل على أدنى نطاق مكاني ممكن ؛ نطاق أقرب ما يكون إلى سياق الحياة اليومية للناس . بشكل عام ، كلما كان المقياس المكاني للتحليل أدق ، كانت النتائج أكثر تفصيلاً وأكثر وضوحًا في السياسات.

نتائج البحث ذات صلة.

ونتيجةً لذلك ، ركّز الجغرافيون التطبيقيون ، على مدى العقود الأخيرة ، اهتمامًا خاصًا على الاختلافات المحلية في الفقر والحرمان داخل المدن . ويُقدّم بونج وبورديسا (1975) مثالًا مبكرًا بارزًا على التباين داخل المدن في مستوى الرفاه ، حيث كشفت خريطة معدلات وفيات الرضع في ديترويت أن الأمريكي المولود في المناطق المركزية من المدينة لديه فرص البقاء على قيد الحياة نفسها التي يتمتع بها رضيع مولود في العديد من دول العالم الثالث (الشكل 29.4). كما كُشف عن التوزيع غير المتوازن لفرص الحياة داخل المدينة الغربية الحديثة في أدلة أحدث من غلاسكو، والتي أظهرت أن معدلات وفيات الرضع في حي إيسترهاوس السكني المحروم أعلى بخمس مرات من تلك الموجودة في ضاحية بيشوببريجز القريبة ذات الطبقة المتوسطة (باسيوني 1993). وقد استخدمت أبحاث الجغرافيا التطبيقية حول الفقر على نطاق المناطق الحضرية عمومًا منطقة التعداد السكاني كإطار مرجعي أساسي .

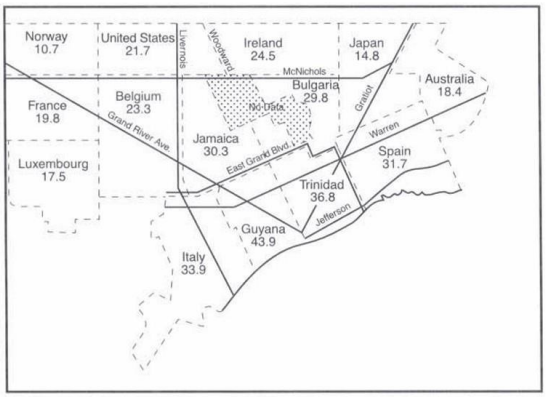

Figure 29.4 Infant mortality in Detroit.

Source : Bunge and Bordessa 1975.

استخدم سميث (1994) بيانات حول متوسط دخل الأسرة والتركيبة العرقية لاستكشاف التفاوت في معدل انتشار الفقر في تامبا (الشكل 29.5) . وقد لوحظ التركيز الاجتماعي والمكاني الملحوظ للفقر في أالمناطق السكنية السوداء في وسط المدن في مدن أخرى بجنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية ، مما يدعم وجود طبقة حضرية دنيا مُهمّشة ضمن المجتمع الحضري المتقدم (مينجيون، ١٩٩٦). يمكن توضيح قيمة البحث التطبيقي على المستوى المحلي بالرجوع إلى جغرافية الفقر والحرمان في مدينة غلاسكو ، اسكتلندا . في هذه الدراسة ، أُجريت تحليلات للمكونات الرئيسية على بيانات أربعة وستين مؤشرًا اجتماعيًا واقتصاديًا وديموغرافيًا قائمًا على التعداد السكاني في ديترويت لكل منطقة من مناطق التعداد السكاني البالغ عددها ٥٣٧٤ منطقة في المدينة .

Figure 29.5 Variations in social well-being in Tampa.

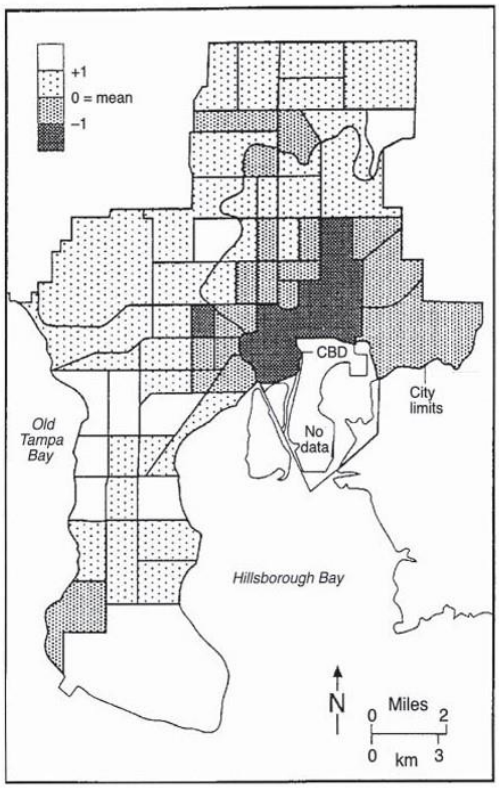

كان من الممكن تحديد المكون الأول ، الذي يُمثل 15% من التباين ، بوضوح كمؤشر على الحرمان المتعدد مع أحمال إيجابية عالية على متغيرات تتعلق بالبطالة ، والاكتظاظ السكني ، والآباء والأمهات المنفردين ، والأسر التي لا تملك سيارة ، والأمراض المزمنة ، والمساكن المستأجرة من السلطات المحلية . وقد وفّر حساب درجات المكونات مقياسًا للحرمان لكلٍّ من هذه المتغيرات ، مناطق التعداد السكاني في المدينة . يوضح الشكل 29.6 التعبير المكاني لمكون الحرمان المتعدد . وقد حدد هذا الشكل تركيزات رئيسية للحرمان في الضواحي الداخلية بين الحربين العالميتين ، مثل بوسيلبارك وغارنغاد وهاغيل وبلاك هيل؛ وفي جيوب معزولة جنوب النهر في غوفان وغوربالز وبولوكشاوس؛ وأجزاء من ممر ماري هيل ومنطقة تجديد المناطق الشرقية في غلاسكو (GEAR)؛ وفي المجمعات السكنية التابعة للمجلس البلدي في درامشابل وكاسل ميلك وإيسترهاوس بعد الحرب .

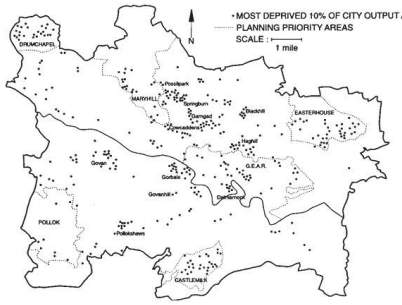

Figure 29.6 The distribution of multiple deprivation in Glasgow, 1991.

Source: Pacione1995b.

أشارت مقارنة نتائج هذا التحليل بالدراسات السابقة حول الفقر والحرمان في المدينة إلى تغير كبير في توزيع المشكلة في غلاسكو على مدى العقود الأخيرة . في عام 1971، كانت نسبة أعلى من المناطق المحرومة تقع في وسط المدينة ، وخاصة في الطرف الشرقي وممر ماري هيل (باسيوني 1989) . خلال الفترة الفاصلة ، شهدت المساكن التقليدية في الأحياء السكنية الداخلية ، والتي كانت تعاني سابقًا من حرمان شديد ، تحسنًا نسبيًا في وضعها ، ويعزى ذلك إلى حد كبير إلى عمليات التطهير وإعادة التطوير المكثفة التي قامت بها السلطات المحلية ، والتي اقترنت في بعض المناطق ، مثل منطقة جير، بالتحديث وبناء مبانٍ جديدة بمساعدة جمعيات الإسكان والمطورين العقاريين من القطاع الخاص . وتضمنت هذه العملية نقلًا واسع النطاق للسكان في إطار عملية شاملة من اللامركزية .

تضم المناطق الداخلية الآن عددًا أقل بكثير من السكان المسنين الذين يعيشون في مساكن مُحسّنة . في المقابل ، تتميز الأحياء الخارجية بتركيبة ديموغرافية أكثر شبابًا ، ورغم أن المساكن مُجهزة بشكل جيد عمومًا بوسائل الراحة الأساسية ، إلا أن الاكتظاظ السكاني منتشر على نطاق واسع . كما توجد مشاكل اجتماعية خطيرة مثل البطالة وارتفاع نسبة الأسر ذات العائل الوحيد . وقد صاحبت هذه التغيرات المكانية في معدل الحرمان إعادة توزيع من حيث حيازة المساكن . في حين أن نسبة كبيرة من المناطق المحرومة في عام ١٩٧١ شملت عقارات قديمة ومستأجرة بشكل متكرر من القطاع الخاص (لا سيما في إيست إند، وماري هيل، وسبرينغبورن، وغوفان) ، بحلول عام ١٩٩١، أصبح الحرمان متركزًا بشكل متزايد في القطاع العام .

كما يُلقي الانتشار الجغرافي للحرمان المتعدد في عام ١٩٩١ الضوء على فعالية نظام المدينة لتخطيط المناطق ذات الأولوية . فبينما أُدخلت تحسينات كبيرة على ظروف المعيشة في المنطقتين الداخليتين ماري هيل وجير، لم يُحرز تقدم يُذكر في المناطق الخارجية . بالإضافة إلى ذلك ، فإن الحدود الجغرافية للمناطق ذات الأولوية موضع تساؤل ، مع استبعاد التجمعات الرئيسية للأسر المحرومة المتعددة (مثل بوسيلبارك وهاجيل) من تحديدات الأولوية الرسمية . ومع ذلك ، وبشكل عام، وكما يُظهر الشكل ٢٩,٦، كان الاتجاه

الأبرز على مدى العقدين الماضيين هو تزايد تركيز الحرمان في مناطق الإسكان البلدي . وتمثل هذه الظاهرة... قيمة المنظور الجغرافي التطبيقي ، في حين أن الأسباب الرئيسية الكامنة وراء تمركز الفقر والحرمان محليًا هي أسباب هيكلية ، نابعة من آثار إعادة الهيكلة الاقتصادية العالمية والسياسات الاجتماعية والاقتصادية للدولة ، فإن آثار هذه العمليات يشعر بها الناس الذين يعيشون في سياقات محلية محددة . إن دراسة الصعوبات التي تواجهها هذه المناطق ، والتي على الرغم من بقائها أماكن ذات معنى لسكانها ، لا تُعد مساحات مربحة من حيث رأس المال ، تُقدم نظرة ثاقبة قيّمة حول طبيعة الفقر والحرمان وانتشارهما في المجتمع المعاصر، وتُثري نقد سياسات الدولة.

مع ذلك ، سعى منتقدو التحليلات الجغرافية للاختلافات الاجتماعية والمكانية في الفقر إلى رفض البحوث القائمة على المناطق بحجة أنها لا تُقدم تفسيرًا للأسباب الكامنة وراء الأنماط المُكتشفة . تعكس وجهة النظر هذه النقد الجذري للتحليلات التجريبية الإحصائية التي سادت الجغرافيا البشرية التطبيقية طوال سبعينيات القرن العشرين . هؤلاء النقاد يطرقون الآن بابًا مفتوحًا . لقد حظي الادعاء بأن التحليل المكاني غير النقدي يُسهم في الحفاظ على الظلم القائم في الوضع الراهن بقبول واسع النطاق من قِبل الجغرافيين البشريين التطبيقيين ، وقد أثر على التحليلات اللاحقة الموجهة نحو السياسات حول الفقر والحرمان ، والتي يُستخدم فيها تحديد النمط لنقد السياسة الحالية الهادفة إلى التخفيف من الحرمان المتعدد (باسيوني 1990ب؛ 1992) .

يؤكد مؤيدو التحليلات الجغرافية أن المنظور القائم على المنطقة يمكن تبريره بناءً على عدة أسس . وقد جادل البعض ، مثل دونيسون (1974) ، بوجود درجة من **"تأثير المنطقة"** في تفاقم الحرمان ، إن لم يكن التسبب فيه فعليًا . بغض النظر عن القوى الهيكلية ، يعيش الناس محليًا ويختبرون ازدهار مناطقهم ومشاكلها . علاوة على ذلك ، وكما رأينا ، فقد ثبت أن الفقر والحرمان ، على جميع المقاييس الجغرافية ، يُظهران تركيزًا مكانيًا قويًا . ثانيًا، **يُعد تحديد الأنماط المكانية نقطة انطلاق أساسية لفهم الانتشار المحلي للحرمان الاجتماعي** . وكما أشار برونز (1920) قبل أكثر من خمسة وسبعين عامًا، فإن دراسة الفقر لا ينبغي أن تقتصر على الإحصاءات فحسب ، بل ينبغي أن تشمل أيضًا محاولة تحديد موقعه بدقة . وبما أن تحديد التوزيع الطبوغرافي للفقر وسيلة لمعرفة ذلك بدقة أكبر، فهو بلا شك وسيلة أيضًا لتخفيف وطأته وعلاجه بطريقة أقل تجريدًا وأكثر فعالية .

وكما أوضح باسيوني (1995ج) ، فإن تطبيق المؤشرات القائمة على المناطق على المستويين الوطني والإقليمي يوفر أساسًا لتحليلات المسوحات المحلية التي يمكن أن تُسهّل تخصيصًا أكثر استنارة للموارد المتاحة التي تستهدف أماكن وسكانًا محددين . ثالثًا، كما أشار ريفلين (1971: ص 146)، "لكي نحقق أداءً أفضل ، يجب أن يكون لدينا طريقة ما للتمييز بين الأفضل والأسوأ". يتيح تحليل طبيعة وشدة وتوزيع الحرمان المتعدد إجراء مقارنات مكانية داخل البلدان والمناطق والمدن وعلى مر الزمن (باسيوني 1986) ، كما يُسهّل رصد فعالية الاستراتيجيات العلاجية . رابعًا، في حين أن المثل الأعلى طويل الأمد قد يظل إعادة هيكلة سياسية واقتصادية أساسية لمعالجة جذور عدم المساواة في المجتمع ، فإن سياسات التمييز الإيجابي القائمة على المناطق ، والمُصممة على أساس البحث الجغرافي التطبيقي ، يمكن أن توفر فوائد أكثر إلحاحًا تُمكّن بعض الناس من تحسين بعض جوانب جودة حياتهم .

بالنسبة لمعظم الجغرافيين البشريين التطبيقيين ، فإن السعي إلى الحد من الصعوبات التي تواجه الأشخاص والأماكن المحرومة يُمثل تقييمًا واقعيًا بأن إعادة الهيكلة طويلة الأمد والعمل التحسيني قصير الأمد أمران مطلوبان . إن عدم القيام بأي شيء على المدى القصير على أمل القضاء على النظام الرأسمالي بسبب

تناقضاته المتأصلة هو بمثابة السماح باستمرار تجاوزات النظام دون رادع . وهذا لا يُجدي نفعًا يُذكر لأولئك الذين يُثقل كاهلهم حاليًا آثار الفقر والحرمان . يتطلب التصدي الفعال لمشاكل الفقر والحرمان اتخاذ إجراءات مناسبة على عدة مستويات ، تشمل مزيجًا من "سياسات الأفراد" التي تُطبق على المدى الطويل على المستوى الهيكلي بهدف تحقيق إعادة توزيع ثروة المجتمع ، و"سياسات مكانية" أكثر إلحاحًا لتحسين الوضع الحالي للمحرومين .

وبشكل أكثر تحديدًا ، على المستوى الهيكلي ، فإن الشرط الأساسي هو الاعتراف بأن وضع الفقراء المحروم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالوضع المتميز للأثرياء . وهذا يتطلب سن سياسة تُعالج المسألة الأساسية المتمثلة في توزيع ثروة المجتمع . على المدى الأقصر، يُمكن أن يُتيح تخفيف الضوابط المركزية على السلطات المحلية ، وفقًا لمبدأ التبعية ، للطبقة الدنيا حرية أكبر للقيام بأنشطة تعود بالنفع المباشر على الفئات المحلية المحرومة . يجب على الحكومة المحلية نفسها أن تسعى إلى وضع استراتيجيات أكثر فعالية لجذب استثمارات القطاع الخاص إلى المناطق المحرومة ، إما من خلال الإقناع (مثل الإعفاء الضريبي) أو التوجيه (عبر مخططات التنمية والرافعة المالية المرتبطة) ، مع مراعاة المزيج المُحدد لقوة الاقتصاد المحلي .

يجب على السلطات المحلية أيضًا تعزيز تمكين المجتمعات المحلية من الافادة من الموارد البشرية للمناطق المحرومة . ومن الناحية المثالية ، سيتضمن ذلك تفويض السلطة المالية والسياسية إلى مستوى الحي السكني ، مع مشاركة أكبر من السكان في صياغة الميزانية وإعداد الخطط لمنطقتهم . **يتمتع الجغرافيون التطبيقيون بمكانة جيدة للمساهمة في تحقيق هذه الأهداف من خلال إجراء البحوث في أسباب وعواقب الفقر، وبدء التقييم النقدي للسياسات الرامية إلى التخفيف من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية التي ما تزال تؤثر على رفاهية نسبة كبيرة من سكان العالم.**

الملحق 29.1

مستوطنة شيتبور العشوائية في الله أباد، الهند.

تُعد الله أباد واحدة من المدن الخمس الرئيسية في ولاية أوتار براديش الهندية . وقد لعبت الهجرة الداخلية دورًا هامًا في نمو عدد سكان المدينة ، الذي زاد بنسبة 500% بين عامي 1981 و 1991. تعاني المدينة من ضعف القاعدة الاقتصادية ، ويشكل القطاع غير الرسمي أكثر من 40% من إجمالي القوى العاملة . كما أن البنية التحتية الحضرية غير قادرة على استيعاب الزيادة السكانية ، ويعيش ربع السكان في أحياء فقيرة ومستوطنات عشوائية . وتشغل مستوطنة شيتبور العشوائية هكتارًا من الأراضي المعرضة للفيضانات على طول خط سكة حديد في جنوب المدينة . وينتمي غالبية السكان إلى الطبقات الدنيا، وتعيش ظروف معيشية غير إنسانية . تؤوي منازل طينية من غرفة أو غرفتين عائلات مكونة من خمسة إلى سبعة أفراد ، من الذكور والإناث والأطفال ، ولا تزيد مساحة كل غرفة عن 12 مترًا مربعًا . لا يحتوي أي من هذه المنازل على مطبخ أو حمام منفصل ، ويحدث التغوط في الخارج على طول خط السكة الحديد أو غيره من الطرق.

في المساحات المفتوحة أو في خطوط الصرف الصحي المفتوحة على جانب الشارع ، تعيش الحيوانات والبشر معًا ، ويؤدي تدني مستوى الصرف الصحي إلى انتشار الأمراض ، التي تجد ضحاياها في سكان شيتبوريان الذين يعانون من سوء التغذية . وعلى الرغم من أن المستوطنة تقع بجوار العديد من المدارس والكليات ، فإن ثلثي المستوطنين العشوائيين أميون ، ويعني كفاحهم اليومي من أجل البقاء أن الاستثمار في المستقبل يحظى بأولوية منخفضة . على الرغم من الفقر العام للبيئة ، إلا أن الانقسامات الاجتماعية والمكانية واضحة حتى داخل المنطقة بين فقراء الطبقة العليا وأفقر الفقراء . في هذه المستوطنات العشوائية وغيرها

في جميع أنحاء العالم الثالث ، تُعد المشاكل الناجمة عن الفقر والحرمان المطلق والنسبي متفشية. المصدر: هـ. ميسرا، ١٩٩٤.

الملحق 29.2

تجارب الفقر

أحوالنا المادية تتدهور ، لدينا طعام لليوم ، لكن لا شيء للغد . في الأسبوع الماضي ، نفدت نقودنا لعداد الكهرباء... أتناول وجبة واحدة فقط يوميًا ، وأحيانًا لا آكل على الإطلاق... اضطررتُ لخلع حفاضات الأطفال الصغار - لم أعد أستطيع تحمل تكلفتها... نحن نتدهور باستمرار. (تيري - من سكان وسط لندن)

يفتح مطعم الحساء أبوابه عند الظهر. انضم إلى المتطوعين الذين أعدّوا الطعام الآن مجموعة متنوعة من الطلاب ، و"سيدات الغداء" ، وأشخاص يعملون هنا بشكل غير تطوعي في خدمة المجتمع . يُطعمون ما يصل إلى ١٥٠ شخصًا يوميًا ، ويرتفع العدد من حوالي سبعين شخصًا في بداية الشهر إلى ذروته في نهايته عندما تكون الأوقات صعبة . حوالي أربعة أخماس من تُقدّم لهم الخدمة هم من السود ، والغالبية العظمى منهم رجال تتراوح أعمارهم بين ٢٥ و٤٠ عامًا . هناك عدد قليل من مدمني المخدرات ، لكن الكثير منهم يرتدون ملابس لائقة ، وبعضهم يعملون في وظائف بأجور زهيدة . كثير منهم زبائن دائمون ، يتعرف عليهم النُدُل ويستقبلونهم . (إطعام الفقراء في مدينة بجنوب الولايات المتحدة) .

يبدأ يومي في الرابعة صباحًا ، خاصةً عندما يكون رفيقي في نوبة عمله الأولى . أُعدّ له فطوره . ثم أُعدّ حوالي 100 فطيرة (سالتينا) أبيعها في الشارع لأدفع ثمن الضروريات التي لا يكفيها أجر زوجي . ثم يستعد الأطفال الذين يذهبون إلى المدرسة صباحًا بينما أغسل الملابس التي تركتها منقوعة طوال الليل . من ما نكسبه معًا ، يمكننا أن نأكل ونرتدي ملابسنا ، لكن الطعام باهظ الثمن : 28 بيزو لكيلو اللحم ، و4 بيزو للجزر، و6 بيزو للبصل... مع العلم أن زوجي يكسب 28 بيزو يوميًا من عمله في المنجم ، فهذا بالكاد يكفي ، أليس كذلك؟ (دوميتيلا - زوجة عامل منجم قصدير بوليفي) المصادر: هاريسون ١٩٨٥؛ ويلد ١٩٩٢؛ سميث ١٩٩٤.

<u>دليل لمزيد من القراءة</u>

يُناقش كتاب ب. تاونسند (1993) "التحليل الدولي للفقر"، نيويورك: هارفيستر ويتشيف. ويُناقش كتاب مركز الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (1996) "عالم مُتحضر"، أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد؛ بينما يتناول كتاب ك. ماكفيت، ر. لوسون، و دبليو ويلسون (1995) "الفقر وعدم المساواة ومستقبل السياسة الاجتماعية"، نيويورك: راسل سيج؛ وكتاب أ. ووكر، و س. ووكر (1997) "بريطانيا مُنقسمة: نمو الإقصاء الاجتماعي في الثمانينيات والتسعينيات"، لندن: مجموعة عمل مكافحة فقر الأطفال، مشاكل الفقر في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة. يقدم م. باسيوني (1995) "جغرافية الحرمان المتعدد في اسكتلندا"، الجغرافيا التطبيقية 15(2)، 115-133؛ وم. باسيوني (1995) "جغرافية الحرمان في ريف اسكتلندا"، معاملات معهد الجغرافيين البريطانيين 20، 173-192؛ وفي الجزء الثاني من د. سميث (1994) "الجغرافيا والعدالة الاجتماعية"، أكسفورد: بلاكويل.